

الوكالات العالمية طرف في الجدل حول تدفق الأخبار على المستوى الدولي

إعداد: د. المهدي الجندوبي
أستاذ مساعد بمعهد الصحافة و علوم الأخبار، تونس.

(سبق أن نشرت أجزاء عريضة من المحاضرة في كتاب صحافة الوكالة صحافة الأساس الذي نشره د. المهدي الجندوبي باللغة الفرنسية سنة 1984 و عرّبه لحساب المركز الإفريقي لتكوين الصحفيين و الاتصاليين بتونس ، الدكتور مصطفى حسن.)

لا يمكن أن نتحدث عن النقد الموجه إلى الوكالات العالمية من دون هذه النظرة الشاملة لما يسمى بحركة التحرير العالمية التي أفرزت في النصف الثاني من القرن العشرين، من بين إفرزاتها ووعي العالم الثالث بخصائصه فنشأت عن ذلك حركة عدم الانحياز وتجاوزت ردة الفعل هذا المستوى الدبلوماسي والسياسي إلى المجال الاقتصادي فطرح موضوع حق الشعوب في السيطرة على ثرواتها. و دعت دول العالم الثالث لأول مرة في اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1974 بنظام اقتصادي جديد.

وفي هذا الاتجاه وجهت اتهامات إلى الشركات المتعددة الجنسيات وهي مجموعة من الشركات العملاقة التي تسيطر على ثروات العديد من البلدان والتي تتجاوز قوتها قوة العديد من الدول الضعيفة.. وحاولت مجموعة من الدول تملك ثروة واحدة مثل البترول تنظيم نفسها على المستوى الدولي حتى تجابه جماعيا مصاعب السوق العالمية ونذكر على سبيل المثال كتجربة ناجحة إجمالاً المنظمة العالمية للبلدان المصدرة للبترول "أوبيك" مثل هذا السلوك الجماعي من دول العالم الثالث سنجدّه أيضاً على الساحة الإعلامية وهو يدخل في نطاق إستراتيجية عالمية تحاول دول العالم الثالث بصعوبة وضع ملامحها وتجسد هذا المسعى في مطلب أساسي أصبح معروفاً حالياً وهو إرساء نظام اقتصادي عالمي جديد فمجال الإعلام ليس بمعزل عن المجالات الأخرى وعلينا أن نتجاوز هذه المرحلة العامة من النقد المبدئي الموجه للوكالات العالمية بحكم أنها مؤسسات غربية مرتبطة منذ نشأتها بالاستعمار، لتتعرض للبعد المهني للجدل القائم حالياً في مجال الإعلام.

فقد ركزت وفود العالم الثالث في العديد من المناسبات الدولية على ما يسمى بالصورة التي تقدمها الوكالات الغربية عن العالم الثالث وتتمثل هذه الصورة التي يعتبرها البعض مشوهة في تقديم العالم الثالث وكأنه يعيش يوماً في دوامة الانقلابات المتتالية والانتفاضات الدموية.. أما كل طلبات العالم الثالث ومحاولاته للسيطرة على ثرواته فهي تعتبر موجهة ضد الغرب وتلقى نقد الإذاعات إذا لا تعتني الصحافة الغربية إلا بنتائج هذه المحاولات على المستهلك الغربي وكلنا يعلم أن الأزمة الاقتصادية التي عاشها الغرب في السبعينات من القرن الماضي كثيراً ما تم تفسيرها برغبة الدول المصدرة للبترول بيع بترولها بأسعار مرتفعة. فبينما يتحدث مصدر البترول عن تعديل أسعار البترول حتى تحافظ على قيمتها الحقيقية أمام ارتفاع المواد الصناعية التي تستورد من الغرب، تتحدث الصحافة الغربية عن ارتفاع سيثقل كاهل موازين المدفوعات في الدول الغربية.

ويتساءل أهل الاختصاص في العالم الثالث في مجال الإعلام لماذا لا تعتني الصحافة الغربية بمشاكل العالم الثالث العميقة مثل الفلاحة والصحة والمجهدات المبذولة للحد من هذه المشاكل.

فبالعلم الثالث سدود تبني وجامعات تنشا وأراض فلاحية توضع فيها قنوات الرأي للرفع من الإنتاج وحملات لمحاربة الأمية وهي أعمال قد لا تجلب بعض القراء ولكنها مصيرية وتغير في العمق بنية مجتمعات العالم الثالث أكثر من غيرها مثل الانقلابات النصف شهرية والسلوك الشائن لبعض القادة.

ويواصل أهل الاختصاص تحليلهم في هذا الاتجاه فيقولون أننا نعتزف أن العالم الثالث بركان اجتماعي وسياسي وهذه هي الناحية التي تجلب أنظار مراسلي الوكالات ولكن لماذا لا تحدد المسؤوليات؟ أليس الغرب مسؤولا بدرجة كبيرة عن الوضع الحالي بالعالم الثالث؟ فهو مسؤول بحكم استغلاله الاستعماري الذي تواصل قرونا في بعض المناطق ومكنه من تحقيق نمو سريع وسهل (خامات متوفرة وبأسعار بخسة) وهو مسؤول أيضا اليوم إذ لا يريد قبول تغيير هيكل الاقتصاد الدولي.. فعندما تباع منتجات العالم الثالث الفلاحية بأسعار بخسة فمن البديهي أن أهل الريف الآسيويين والإفريقيين سيحرمون من مردود عرق جبينهم.

اليونسكو حلبة الصراع الدولي في مجال الإعلام

هذا بالنسبة إلى الحجج التي يقدمها العالم الثالث فما هو رد الوكالات العالمية؟

تتهم الوكالات العالمية بدورها، أساسا رجال السياسة في العالم الثالث وتقول أنهم يخلطون بين الإعلام والدعاية فحسب المدرسة الكلاسيكية الغربية في الصحافة فانه من الطبيعي أن لا يعلن عن القطار الذي يصل في الوقت المحدد له إلى المحطة أما إذا تأخر القطار فمن واجب الصحفي أن يتحدث عن ذلك لجمهوره كذلك يقول الصحفيون عن الوكالات العالمية من الطبيعي أن يحاول كل نظام مد شعبه بالمدارس وبقنوات الري وبالمصانع الخ.. أما إذا انتشرت مجاعة أو تغير حكم بطريقة غير شرعية فيعتبرون أن عليهم أن يسجلوا هذه الظاهرة وإعلام جمهورهم بهذه الأحداث.. السياسية والاجتماعية.

و يعتبر صحفيو الوكالات العالمية وخاصة المراسلون في مختلف عواصم الدنيا أن لهم دورا هاما في دول العالم الثالث غذ هم يستطيعون نشر أخبار لا يمكن لصحفيي العالم الثالث نشرها عن بلادهم.. وفعلا فإن نظاما معيناً يستطيع أن يضع أي صحفي ينتمي إلى بلده في السجن.. ولكن يصعب عليه عادة سجن مراسل وكالة أنباء أجنبية.. وعادة يطرد المراسل إذا ما أقلق السلطه ويعوض بزميل آخر قد يطرد بدوره بعد مدة.. هذا طبعا بصفة عامة ولئن كانت هناك حالات سجن وحتى تصفية جسدية ذهب ضحيتها مراسلو بعض الوكالات..

هذه بصف ميسطة مجموعة من محاور الجدل حول الإعلام والذي تلعب فيه الوكالات بحكم وظيفتها ووزنها في تبادل المعلومات على المستوى الدولي.. ونستطيع أن نقول بصفة مجملية أن هذا النقاش كثيرا ما احتدّ وأخذ صراحة لغة تبادل اتهامات ولكن الدور الإيجابي الذي لعبته اليونسكو مكن مختلف الأطراف من التقابل في العديد من المرات في ندوات إقليمية ودولية على مستوى رجال القرار السياسي أو على مستوى أخصائيين أو صحفيين وقد مكنت هذه اللقاءات من تجاوز الاندفاع الأول وبلورة الأفكار وتسجيل نقاط الاختلاف وبعض نقاط الاتفاق وان كانت محدودة.. ومثلما لعبت الجمعية العامة للأمم المتحدة دورا في حلقة الصراع الدولي في المجال الدبلوماسي وندوة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية وغيرها من المنظمات المختلفة دورا في حلبة الصراع الاقتصادي والعالمي، فان منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) لعبت دورا في حلبة الصراع في مجال الإعلام.

ووجدت دول العالم الثالث النشطة في هذا المجال، في اليونسكو إطار عمل مكنها من بلورة أفكارها، وكثيرا ما أخرجت بصفة جدية وفود الدول الغربية حتى أن الصحافة الغربية كثيرا ما اتهمت اليونسكو بالانحياز إلى العالم الثالث، وتبني مطالبه على حساب دول الغرب.

ولتجسيد هذا الدور الذي لعبته وتواصل تأديته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) في هذا المجال نذكر إنشاء لجنة دولية لدراسة مشاكل الإعلام على أثر الندوة التاسعة عشرة لليونسكو.. التي انعقدت سنة 1972 م. بنيروبي، عاصمة كينيا، برئاسة ماك برايد الوزير الإيرلندي السابق. وجمعت هذه اللجنة خمسة عشر خبيرا من مختلف أقطار العالم يمثلون مجموعات أيولوجية مختلفة من بينها تونس ومصر..

ووضعت اللجنة التي اشتهرت باسم رئيسها ماك برايد تقريرا هو ثمرة عمل متواصل دام عدة سنوات نشر سنة 1980 في كتاب تحت عنوان "أصوات متعددة، عالم واحد، التواصل والمجتمع اليوم وغدا" باللغة الإنجليزية والفرنسية ويعتبر هذا التقرير مرجعا هاما يقدم العديد من المعلومات السياسية حول الإعلام في العالم وي طرح أهم مواضيع النقاش الدولي المتعلق بالإعلام.

جرائد البلدان النامية مسؤولة بالدرجة الأولى عن إهمال تغطية أحداث العالم النامي:

أشرف وليور شرام سنة 1978 على دراسة اعتنت بالتدفق الدولي و اعتمدت على مقارنة المادة الإخبارية التي بثتها الوكالات الدولية الأربعة حول موضوع العالم الثالث طوال خمسة أيام. تدافع الدراسة عن رأي مخالف للرأي السائد في الجدل الدولي حول إهمال الوكالات الدولية لتغطية أحداث دول العالم الثالث و تبين أن الجرائد الآسيوية هي بدورها أقل اهتمام بأحداث بلد مثل الهند و هي واحدة من أكبر الدول الآسيوية بمقياس المساحة الجغرافية و عدد السكان و الدور الجيوسياسي. فالوكالات الدولية تقدم عرضا من الأخبار التي تهملها سياسات التحرير المتبعة في كل صحيفة. و أبرزت الدراسة أن الوكالات الدولية الأربع بثت 400 قصة خبرية موضوعها العالم الثالث أي مجموع 105 آلاف كلمة في فترة الدراسة و بمعدل 26 ألف كلمة يوميا بالنسبة الى كل وكالة. فما هو مصير هذه المادة التي تعرضها الوكالات الدولية و تصل الى صحف العالم؟

حاولت الدراسة الإجابة عن هذا السؤال فتابعت المادة الإخبارية التي نشرتها مجموعة من 16 جرائد آسيوية في نفس الفترة و أبرزت الدراسة :

من مجموع 100 خبر تحصل عليها يوميا الجرائد الآسيوية حول العالم الثالث متكونة من 26 ألف كلمة لم تقم بإعادة بث إلا 23 خبرا، أي مجموع 13 ألف كلمة يوميا. و تمثل نسبة الأخبار المهملة ثلاثة أرباع الأخبار و نسبة الكلمات المهملة النصف.

و تركز الدراسة على دراسة حالة تغطية أخبار الهند من قبل الجرائد الآسيوية فتصل الى النتائج التالية :

أخبار الوكالات الدولية حول الهند	أخبار الجرائد الآسيوية حول الهند
----------------------------------	----------------------------------

<p>70 خيرا في 13 صحيفة 24 ألف كلمة في 13 جريدة معدل 1850 كلمة للجريدة الواحدة تجاوز ما نشرته صحيفتين من العينة ما نشرته أي وكالة من الوكالات أهملت صحيفة واحدة تماما أخبار الهند في فترة الدراسة</p>	<p>135 خيرا 35 ألف كلمة معدل 8700 للوكالة الواحدة</p>
------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	---------------------------------------------------------------

التجارب البديلة: ثمرة من ثمار الجدل حول تدفق الأخبار على المستوى الدولي

و في خط مواز لتطور انتقادات العالم الثالث الموجه الى وكالات الأنباء العالمية برزت الى حيز الوجود بعض المحاولات الطريفة في مجال التعاون بين وكالات الأنباء الوطنية.

و تنطلق هذه التجارب من الناحية النظرية من مناقشة مقاييس قيم الخبر التي تعتمدها الوكالات الدولية معتبرة أنها لا تستجيب الى حاجيات الدول النامية و تقترح مفهوم الإعلام التنموي كمقياس أكثر اقترابا من مشاغل الدول النامية من بقية المقاييس التي تعتمدها المدرسة الليبرالية مثل الصراع و الطرافة و الإثارة.

و تتخذ هذه المحاولات عدة مظاهر ، تنطلق من مجرد ابرام اتفاق ثنائي لتبادل الخدمات بين وكالتين وطنيتين الى بث نشرة مشتركة بين مجموعة من الوكالات الى إنشاء وكالة أنباء إقليمية.

أهداف التجارب البديلة و مطلقاتها النظرية :

التقليص من التبعية التي تشكو منها وسائل الإعلام في الدول النامية بالنسبة للوكالات الدولية و ذلك بتنويع المصادر المتاحة لوسائل الإعلام بتوفير مادة إعلامية منافسة للمادة التي تعرضها الوكالات الدولية.

الانطلاق من خصوصية الدول النامية و مدها بالأخبار و المعلومات التي تستجيب الى احتياجاتها التنموية و ذلك باعتماد مفهوم الإعلام التنموي الذي يحاول بعض المفكرين أصيلي الدول النامية تقديمه كبديل لبقية النظريات التقليدية التي تصفة تحلل الأنظمة الإعلامية و هي نظرية السلطة، و النظرية الليبرالية و نظرية المسؤولية الاجتماعية و النظرية الشيوعية.

و أد كانت النظريات الليبرالية التي تعتمدها وكالات الأنباء الدولية تطرح السؤال الجوهرى الذي يتعلق بعلاقة وسائل الإعلام بالسلطة و مدى القيود التي تفرضها السلطة على حرية جمع الأخبار و نشرها فان نظرية الإعلام التنموي تنطلق من الدور الايجابي الذي يمكن أن تلعبه وسائل الإعلام في تنمية مجتمعات أولوياتها لا تقتصر على تنظيم العلاقة مع السلطة و لكنها تجابه تحديات مثل رفع الأمية و نشر الوعي

الصحي و مقاومة أشكال التبعية الثقافية و بناء المجتمع المدني لتوسيع رقعة مشاركة المواطن في الحياة العامة.

و تتلخص مبادئ النظرية التنموية في :

- على وسائل الأعلام تنفيذ المهام التنموية في انسجام مع السياسة الوطنية القائمة
- تخضع حرية وسائل الأعلام الى قيود تفرضها أولويات التنمية الاقتصادية و الاجتماعية
- لوسائل الأعلام دور في المحافظة و في تنمية الثقافة الوطنية و مجابهة تحديات الانفتاح على الثقافات الأخرى
- على الإعلاميين الجمع و التوفيق بين الحرية و المسؤولية عند أداء مهمة جمع و نشر الأخبار
- حق الدولة في التدخل و مراقبة وسائل الأعلام خدمة للأهداف التنموية
- تنمية التدفق الإخباري بين دول العالم الثالث
- عرض مواد إعلامية من إنتاج الدول النامية قابلة للنشر في البلدان الغربية قصد تعديل الصورة التي ينتجها الأعلام الغربي عن دول العالم الثالث

أهم التجارب البديلة :

- منظمة وكالات أنباء آسيا و الباسيفيك OANA أنشأت سنة 1981 شبكة أخبار آسيا و الباسيفيك تعمل بطريقة التبادل الإخباري الإقليمي و اهتمت بأخبار التنمية الأكثر ملاءمة مع احتياجات و خصوصيات بلدان العالم الثالث.
- رصدت اليونسكو سنة 1982 مبلغا قدره 100 ألف دولار لإنشاء وكالة أنباء افريقية PANA مقرها عاصمة السنغال و في الواقع جسم هذا المشروع فكرة قدمتها سنة 1963 دولة غانا. و حظيت هذه الوكالة بعد ذلك بدعم من دول خليجية و لكن انطلاقتها بقيت متواضعة.
- ومن أهم التجارب المنجزة في أمريكا اللاتينية مبادرة مجموعة من الصحافيين ببعث وكالة IPS لتغطية أحداث بلدان العالم الثالث و جندت عدة صحفيين في مقرين رئيسيين روما و بنما.
- و أنشأت منظمة الدول الإسلامية سنة 1970 وكالة الأنباء الإسلامية التي تشارك فيها 42 دولة و مقرها العاصمة السعودية جدة و تعتمد طريقة تبادل الأخبار بين الأعضاء.
- و لعبت وكالة الأنباء اليوغسلافية TANJUG دورا رئيسيا في إنشاء مجمع وكالات أنباء عدم الانحياز سنة 1975 وهي تجربة حظيت بدعم سياسي و مالي من منظمة دول عدم الانحياز.

حدود التجارب البديلة:

- تنطلق من نوايا حسنة و تعرف طفرة في فترة نشأتها و تحظى بعناية بعض السياسيين الذين فهموا خطورة عدم التوازن الدولي في تدفق الأخبار و لكنها قد تتعثر أو تنقطع مع مرور الزمن (مثل تجربة وكالة أنباء الخليج).
- تشكو هذه التجارب من نفس المشاكل التي تتخبط فيها الوكالات الوطنية فهي في أغلب الأحيان شديدة الارتباط بالقرارات السياسية و بالسياسة الرسمية و تتأثر بالتوتر و عدم الاستقرار الذي يميز العلاقات الدولية للعديد من الدول النامية. و تنتظر الحكومات من الوكالات الوطنية التي عادة ما تكون على ملك الحكومة لعب دور حارس البوابة سواء بالنسبة للأخبار المحلية أو بالنسبة للأخبار التي تنشر في الخارج. و لا يمكن لهذا الطابع المفرط في الرسمية إلا أن ينمي الحذر و عدم الاكتراث عند وسائل الإعلام في الخارج.
- تعتمد في أغلب الأحيان على مبدأ التبادل الإخباري للوكالات الأعضاء التي تلتزم بإرسال جزء من المادة التي تنتجها لتجمع مع مادة بقية الوكالات و يعاد توزيعها بعد معالجتها (اختصارها و ترجمتها). و إذ كانت الكفاءة المهنية لأغلب الوكالات الوطنية محدودة فإن المادة الموجهة عادة قد لا ترتقي للنشر خارج مجال وسائل الإعلام المحلية للدولة المعنية.
- الدعم السياسي الذي تحظى به مثل هذه التجارب لا يترجم عادة بإمكانيات مادية و بشرية حقيقية في مستوى المهام المطلوبة.

مراجع

- د. إبراهيم إمام ، وكالات الانباء القاهرة : دار النهضة العربية ، 1972 ، 269 ص.
 اتحاد وكالات الإنباء العربية ، دليل الوكالات العربية للانباء ، بيروت : 1977 .
 شوون ماكبرايد، و آخرون، أصوات متعددة عالم واحد، اليونسكو، 1981.
 د.محمد فريد محمود عزت ، وكالات الانباء في العالم العربي، جدة: دار الشروق، 1983، 318 ص.
 د.محمد علي العويني، الإعلام الدولي بين النظرية و التطبيق، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990.
 د.أحمد بدر، الإعلام الدولي، القاهرة، دار ضياء للطباعة و النشر، 1998، 407ص.
 جنتان فينبي، الإعلام الدولي، ترجمة د.أحمد طلعت البشبيشي، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 2004.
 د.راسم الجمال، الاتصال و الإعلام في الوطن العربي في عصر العولمة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2006.
 د.خالد فاروق، الإعلام الدولي و العولمة الجديدة، عمان، دار أسامة للنشر، 2008.

Slavoj Haskovec. THE NEWS AGENCY IN THE SYSTEM OF MASS MEDIA, International Organisation of Journalists. Prague, 1980, 65p.

Olivier Boyd.Barett

Michael Plmer, LE TRAFIC DES NOUVELLES LES AGENCES MONDIALES D'INFORMATION, Alain Moreau, 1981, 712p.

Mehdi Jendoubi, JOURNALISME D'AGENCE JOURNALISME DE BASE, Tunis, Universite de Tunis, 1984.

Henri Pigeat, LES AGENCES DE PRESSE INSTITUTIONS DU PASSE OU MEDIAS D'AVENIR?, La Documentation Française, Paris, 1997.